



هجرها أهلها
لكنهم يعودون
إذا تواضرت لهم
سبل العيش الكريم

إنقاذ الواحات المغربية

محمد التفراوتي (الرباط)

حوض زيز (الرشيدية، مولاي علي الشريف، تنجداد، كلميمة)، وواحة فكيك. وهي تصنف مناطق جافة، نسبة تساقطاتها المطرية ضعيفة، مما يجعل مواردها المائية المحلية لا تتجدد إلا بشكل استثنائي. وتتكون الموارد المائية للواحات من المياه السطحية الآتية من الجبال البعيدة، فضلاً عن المياه الجوفية في الوديان التي تتأثر بالعوامل المناخية.

هجوم إلى الإعلام

خمس سيارات رباعية الدفع عبرت شريط الواحات من سلسلة الأطلس الصغير إلى الحدود المغربية الجزائرية، تضم مجموعة من الإعلاميين رصدوا عدداً من المشاهد المحزنة وعينوا حديث الأهالي عن المال والمستقبل. تلك المناطق لم تعد منسية كلياً، بعد انطلاق مبادرة الوزارة المنتدبة للبيئة لدى وزير الطاقة والمعادن والبيئة بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، في إطار المرحلة الثانية من البرنامج الأفريقي للتكيف مع التغيرات المناخية. وأكد ياسر العبدلاوي، مستشار برنامج الأمم المتحدة

القفار أمامكم والفيافي وراءكم، وليس لكم إلا التأقلم مع قساوة الطبيعة والهشاشة الاجتماعية وضنك العيش. ذلك أقرب تعبير يلخص مشهد الواحات المغربية.

جمال الواحات في المغرب لم يعد يشفع بها كي تبقى متربعة على عرش المشهد الطبيعي، فهي في تقهقر وأفول يزحفان على مختلف معالمها.

الواحات المغربية درع منيع أمام التصحر. وهي تختزن تنوعاً بيولوجياً فريداً رائعاً، وتحفظ الحياة الاجتماعية العريقة، وتوفر نتاجاً زراعياً مهماً. ويقدر عدد سكانها بنحو مليوني نسمة، أي 5.3 في المئة من سكان البلاد.

تقدر مساحة الواحات المغربية الموجودة على مشارف الصحراء بنحو 115 ألف كيلومتر مربع في أربع مجموعات كبرى تشمل: الواحات الواقعة جنوب سوس ماسة درعة، وجنوب الأطلس الصغير، وواحات طاطا، وواحات وادي درعة (ورزازات، زاكورة، فم أوكبد، أكدز، دادس)، وواحات



الوفد الإعلامي مع سكان محليين في واحة تانزيضا

الإئمائي، أن الواحات هي ضمن اهتمامات البرنامج منذ 2005، حيث خصص لها 30 مليون دولار بغية إعادة إحيائها، لأن اندثارها خسارة تاريخية وحضارية. وأكد على ضرورة رصد أوضاع الواحات وإدماج بُعد التغير المناخي في المخططات الاستراتيجية للتخفيف من آثاره الشديدة على حياة السكان المحليين.

أين التماسيح؟ وأين الناس؟

الوضع المقلق جداً، من جراء الجفاف والتصحر، أدى إلى تلف العديد من أشجار النخيل وتراجع منسوب المياه الجوفية وانجراف التربة الناتج عن فيضانات الأدوية التي تجرف المزروعات على الضفاف. وهذا حدا ببعض السكان إلى الهجرة، بل الفرار أحياناً، نحو المدن.

ولعل واحة «تانزيضا» أسوأ نموذج لوضع الواحات في المغرب، حيث باتت مقبرة للنخيل والمواشي النافقة، ولم يعد يقطن فيها سوى خمس أسر بعدما كانت تنبض بالحياة وتتوهج بخيرات حقولها ونخيلها. وحشة المكان شديدة، وأطلال العمران محزنة، وقيظ المكان خائق. اصطف شيوخ



بيوت تقليدية في الواحة



تنظيف بئر لإعادة تأهيلها

الأسر المتبقية منتظرين الزوار-نحن الإعلاميين-لعل بشائر الفرج تأتي من خلال إبراز مآسيهم في وسائل الإعلام. في مدخل القرية، التي يعود أقدم عمرانها إلى عهد الرباطين في القرن الحادي عشر، وتحت لهيب الشمس، سرَّ الوفد الإعلامي الخطى مترجلاً من السيارات المكيفة نحو بقايا نخيل للتفيؤ بظلالها العنيدة. يتذكر الأهالي أن منطقتهم كانت تختال بين ستة عيون ماء على ضفة نهر تمانار. وقال الشيخ محمد، أحد سكان الواحة: «قبل خمسين سنة كان هذا الوادي يضم عدة تماسيح شاهدتها بأم عيني». لكن على مدى السنوات المتوالية أخذت العيون تجف واحدة تلو الأخرى، حتى جفت آخر عين قبل سنتين، وغارت تحت طمي تراب النهر بعمق مترين.

وأشار أودور محمد، رئيس جماعة فم الحصن، إلى أن «هذه المنطقة هي في عمق تاريخ المغرب، وسكانها مرتبطون بأرضهم وحقولهم. وعلى رغم هجرة معظمهم، فمن الممكن عودة كثيرين إذا توافرت سبل العيش الكريم». وأضاف أن هناك مشروعاً لإعادة إحياء واحة تانزينا التي تعاني من جفاف الفرشة المائية وزحف الرمال وتغير المناخ، بشراكة مع وكالة الجنوب وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

وأكد محمد نبو، مدير الدراسات والتخطيط والتوقعات في كتابة الدولة لشؤون المياه والبيئة، أن تحسين وضع الواحات المغربية يتطلب تشجيع الممارسات التي تضمن اقتصاد الماء، خاصة في ري المزروعات، وتوعية السكان بأهمية الإدارة العقلنة للموارد المائية، مع إشراك الإعلام والمجتمع المدني.

واحة النخيل في مراكش مشروع لحمايتها وتنميتها

نخلة كبيرة، وإزالة 15 ألف نخلة ميتة، وغرس 8000 نخلة مثمرة، ضمن برنامج «التعويض الطوعي للكربون» الذي تعتمده المؤسسة.

وينفذ مشروع لري الأغراس بمياه الصرف المعالجة من محطة التنقية في مراكش. وتم حفر 14 بئراً جديدة على أن يتم تزويدها جميعاً باللوحات الشمسية لضخ المياه بطاقة نظيفة.

وقد شرعت المؤسسة في تصنيف مستنقع الواحة (الولجة) كمنطقة رطبة ذات أهمية بيولوجية وبيئية. وهي تضم 15 نوعاً من الثدييات و24 نوعاً من الزواحف و49 نوعاً من الطيور، منها ما هو نادر جداً مثل البلشون الأحمر أكل السراطين وأبو منجل.

وأقيمت مسالك «تربوية» من أجل تحسيس الزوار وسكان الجوار بضرورة احترام الواحة، وهي تبرز التنوع البيولوجي فيها ودور الأبار والخطارات في الري وعملية نمو النخل واستخدام السماد الطبيعي.

ويسعى البرنامج إلى تعزيز دور المزارعين العاملين في واحة النخيل، للحفاظ على هذا النشاط القديم والضروري للمنظومة البيئية.

م. ت.

«يا مراكش يا وريدة بين النخيل» مطلع أغنية شهيرة يتغنى بها المغاربة. واحة النخيل في مراكش جزء مميز في فضاءات المدينة التاريخية الحمراء. تشير مصادر تاريخية إلى أنها نشأت قرابة القرن الحادي عشر، مع حلول المرابطين آتين من الجنوب. وهي تمتد اليوم على مساحة 12 ألف هكتار وتضم نحو مئة ألف نخلة. وقد تم تسجيلها بمثابة موقع محمي بأمر صدر عام 1929.

لكن هذه الواحة، التي ينعشها نهر تانسيقت وتضم نظاماً قديماً للري يدعى «الخطارات»، تدهورت من جراء الممارسات الخاطئة وطالتها مختلف الأضرار التي حلت بالواحات المغربية عموماً. وتعمل مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة على تنفيذ برنامج لحماية الواحة وتنميتها. وذلك عن طريق إعادة تشكيل منظومتها البيئية، وتحسين إدارة الموارد المائية، والتخفيف من وطأة الزحف العمراني، مع إشراك السكان المحليين.

من خلال هذا البرنامج، أقيم مشتل ينتج نحو 80 ألف فسيلة في السنة. وبعد مرور سبع سنوات، تم غرس 542 ألف فسيلة، وصيانة 80 ألف

